

الدرس : 05 - سورة الأنفال - تفسير الآيات 11 - 14 ، النوم تفاعل عميق وليس له مفرزات - الدعاء يقوي العقيدة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

النوم من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الإخوة الكرام... مع الدرس الخامس من سورة الأنفال ، ومع الآية الحادية عشرة وهي قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾



أيها الإخوة ، النعاس نوم خفيف ، في اللغة العربية اسمه سنة ، قال تعالى :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَلَمْهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)﴾

[سورة البقرة]

السنة نوم خفيف ، والنوم نوم ثقيل : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ .

أيها الإخوة ؛ أي أن الله جل جلاله لا يأخذه عن تدبير شؤون خلقه نوم خفيف ، ولا نوم ثقيل ، أما الإنسان إذا أكرم الله في الأوقات العصبية بسنة من النوم فالقصد هنا السنة من النوم التي تطمئن المؤمن .

﴿إِذْ يُخَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ ، هناك نعاس مع أمن ، وهناك نعاس بلا أمن ، فالذي وقع في شرك خفي ، وضاعت عليه الأمور ، وسدت أمامه الأبواب ، ونسي الله نفسه ، لو أنه نام يرى في النوم أحلاماً مزعجة جداً ، لكن الله أحياناً يتكرم على عباده المؤمنين الصادقين أنهم ينامون ويستريحون بالنوم ، لذلك النوم من آيات الله الدالة على عظمته .

تعطل جميع الآليات أثناء النوم عدا الأذن :

كلكم يعلم أن هناك جهاز هضم ، جهاز الهضم يتفاعل مع الغذاء والناتج هو البراز ، وجهاز التنفس يتفاعل مع الأوكسجين ، والناتج أكسيد الكربون - غاز الفحم - الزفير غاز فحم ، وهناك جهاز التعرق يتفاعل مع الحر والناتج العرق ، حتى العين لها مادة تفرزها ناتجة عن تفاعلها مع الأشياء ، حتى الأذن صماخ الأذن ، فكل جهاز في الجسم يتفاعل مع أشياء كثيرة و الناتج عدم اسمه باللغة عام ، إلا أن النوم تفاعل عميق جداً لكن بلا مفرزات ، بلا عدم ، ﴿إِذْ يُخَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ .



أيها الإخوة ، العين تفرز الغماص ، والأذن تفرز الصماخ ، وجهاز التعرق يفرز العرق ، وجهاز

الكليتين يفرز البول ، وجهاز الهضم يفرز البراز ، فكل هذه الأجهزة تفرز نواتج ، إلا أن النوم آلية معقدة جداً ، النوم بلا ناتج ، الإنسان عندما يتعب كثيراً يشعر بالإعياء ، يكاد ينام قسراً ، وأكبر الحوادث في الطرقات هي عن السائقين الذين يداومون على السفر ينامون فجأة ، وهم يقودون مركباتهم ، فالنوم له آلية معقدة ، من أبسط شروط أليته أن



الخلايا العصبية تتباعد في النوم ، فالسيالة العصبية تجد المسافة واسعة لا تستطيع تخطيها فتنام ، لكن

الصوت الكبير جداً ، العالي جداً يقفز على هذه المسافة البعيدة ، تماماً كمالو واجهت جدول ماء ، فالمسافة أو عرض هذا الجدول أوسع من قدرتك على القفز فتقف ، فالسيالة

العصبية أثناء النوم تقف ، لأن الخلايا العصبية متباعدة ، لكن في الأصوات العالية جداً هذه الأصوات تصل إلى الضفة الثانية ، ويستيقظ الإنسان .
لكن بالمناسبة يتعطل بالنوم كل شيء عدا الأذن ، أي الأذن تعمل في النوم لكن الصوت الضعيف لا يصل ، أما الصوت القوي فيصل ، لو أن إنساناً نائماً نوماً عميقاً وسمع إطلاق مدفع يستيقظ فوراً ، أما البصر فمعتل ، الإنسان أثناء النوم مغمض العينين ، الأحاسيس كلها معطلة إلا الأذن .

الليل هو الوقت المناسب للنوم :

لذلك أيها الإخوة ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُسْمِعُونَ (23) ﴾

[سورة الروم]

والليل هو الوقت المناسب للنوم ، لكن هذه الحضارة جعلت ليل الناس نهاراً ، ونهار الناس ليلاً .



أجداننا والسلف الصالح ، والآن العالم المتقدم جداً ، الساعة التاسعة تتوهم أن هذه المدينة الكبيرة فيها

منع تجول ، لأن الناس جميعاً أووا إلى فرشهم ليأخذوا قسطاً من الراحة ، كي يستطيعوا في اليوم التالي أن يكونوا الساعة الثامنة أو السابعة في أعمالهم ، والموظف الذي لا يركز في عمله يخسر وظيفته ، وعدم التركيز يأتي من السهر الطويل .

مرة كنت في سبني الساعة التاسعة توهمت أن هناك منع تجول ، هذا العالم القوي ينام باكراً ليأخذ قسطاً مديداً من الراحة ، والساعة الخامسة صباحاً الطرقات مزدحمة ، في بلاد مختلفة أحياناً لا تحل قضية قبل الساعة الثانية عشرة ، المحلات الساعة العاشرة كلها مغلقة ، تفتح العاشرة أو الحادية عشرة ، يأتي صاحب المحل في الساعة الثانية عشرة أو في الواحدة ، والسهر للساعة الثانية عشرة ليلاً هذا النظام ، الآن العالم المتقدم رفضه ، دوام متصل من الساعة الثامنة حتى الساعة الخامسة ،



و هناك ساعة راحة أثناء الظهيرة ، الإنسان يذهب إلى بيته الساعة الخامسة ، التقى مع أهله وأولاده ،

جلس معهم ، زار صديقه ، أما العمل للساعة الثانية ليلاً ، للساعة العاشرة ليلاً ، للساعة الثانية عشرة ليلاً ، والنوم إلى الظهر ، هذا نظام ينبغي أن يرفض ، وإذا شخص من الإخوة الكرام تمكن من ضبط نظام حياته بالنوم الباكر سيستيقظ صباحاً كالحصان .

((عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْبَدَاءِ وَالصَّبِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهْمُوا عَلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا .))

[متفق عليه]

﴿ إِنَّ نَائِنَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قَبْلاً (6) ﴾

[سورة المزمل]

أضرب لكم مثلاً في العالم الإسلامي في وقت تألقه ، بعد العشاء الناس جميعاً خلدوا إلى الراحة ، والاستيقاظ قبل الفجر على صلاة قيام الليل .
مرة أخ وعدي بالمكتب الساعة السادسة صباحاً ، سألته : ما السبب ؟ قال لي : أنا علمني والدي الصلاة قبل الفجر بساعة ، من أيام طفولتي إلى الآن أنام باكراً وأستيقظ قبل الفجر بساعة .

شيء رائع جداً ، إذا استطاع الإنسان أن يضبط بيته وأولاده على النوم باكراً ، والاستيقاظ صباحاً ، ساعات القراءة ، والمطالعة ، والدراسة ، والعمل ، والتخطيط صباحاً تعادل أربع ساعات في النهار ، الساعة الواحدة صباحاً .

الحواس الخمس تنقل للإنسان ما حوله بطريقة أو بأخرى :

على كل : هذا الإنسان حينما ينام تتباعد خلاياه العصبية ، عندنا سيالة واحدة فعالة هي سيالة الصوت ، فالصوت الضعيف لا ينتقل عبر هذا التباعد بين الخلايا ،



أما الصوت العالي جداً فيقفز ويصل والإنسان يستيقظ وهذا من فضل الله عز وجل .

أنت تابع الأمر ، الإنسان جالس في غرفة فكل شيء في الغرفة تحت مرمى بصره ، البيت منتمتر ، أي شيء حدث بغرفة أخرى العين لا تراه ، لكن الذي يصل إلى علمك عن طريق الصوت ، يقول لك : هناك حركة في البيت ، الصوت نعمة ، العين ينتهي تفاعلها مع الأشياء عند الجدران ، أما الأذن فتصل إلى أطراف البيت كله . لكن لو دخلت فارة تحت السرير وماتت ، لا تراها ولا تسمع صوتها ، ما الذي يشعر بوجودها ؟ الرائحة ، كم جهاز ؟ هناك عين ، وهناك صوت أذن ، وهناك رائحة ، وهذا من فضل الله علينا ، الحواس الخمس تنقل لك ما حولك بطريقة أو بأخرى .

نعمة الأمن ونعمة الكفاية أكبر نعمتين على الإطلاق :



أيها الإخوة ، الآن يوجد موضوع دقيق ،

أن الإنسان أحياناً ينام ويستيقظ مرتاحاً جداً ، ومستبشراً

أحياناً ، يرى رؤياصالحة ، يرى أنه في بستان ، ويرى أنه مع أحبائه ، ويرى أنه في تفوق ، وأحياناً يستيقظ الإنسان على حلم مزعج جداً .
إذاً ممكن أنك إذا أدبت الصلوات قبل أن تنام ، وقرأت آية الكرسي كما ورد عن سيد الأنام ، ودعوت دعاء النوم ، أن تنام نوماً مريحاً ، وأن يكون هذا النوم راحة لك ولقلبك .
الآن الخوف يخلقه الله ، دقيق :

﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيَسْئَلُ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ (151)﴾

[سورة آل عمران]

قانون الخوف : الإشراك يساوي الخوف .

قانون الأمن : الإيمان بالله والاستقامة على أمره تؤديان إلى الأمن ، الآيات :

﴿وَكَيْفَ أَخَافَ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَبُونَ (82)﴾

[سورة الأنعام]

أكبر نعمتين على الإطلاق نعمة الأمن ، ونعمة الكفاية .

{الذي أظعمهم من جوع و آمنهم من خوف }

[سورة قريش]

أن تكون قدملات المعدة بالطعام الحلال ، شبعت وأنت آمن .

الإنسان أمام خيارات لا تعد ولا تحصى مادام حياً :



قلت مرة : أحد العلماء كان يأخذ تلاميذه صبيحة عيد الفطر إلى المقابر ليرى أخوانه نعمة الحياة ، أنت

حي بإمكانك أن تتوب ، بإمكانك أن تستغفر ، بإمكانك أن تصطلح مع الله ، بإمكانك أن تؤدي ما عليك ، بإمكانك أن تعمل حسنة تمحو سيئة ، بإمكانك أن تؤدي واجباً كنت قد أهملته ، بإمكانك أن تطلب العلم ، بإمكانك أن تضبط أو لادك ، ما دمت حياً كل شيء ممكن ، بتعبير آخر : مادام القلب ينبض أنت في بجموحة ، أمامك خيارات لا تعد ولا تحصى ما دمت حياً ، فإذا مات الإنسان خُتم عمله ، لذلك عند الموت :

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) }

[سورة الفاتحة]

الآن : الله ملكك نفسك ، أنت في الحياة نفسك بين يديك .

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) }

[سورة الشمس]

لكن بعد الموت

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) }

[سورة الفاتحة]

العاقل من استخدم نعم الله في طاعته لا في المعاصي والآثام :

إذاً هذا العالم الجليل يأخذ أخوانه أول يوم من أيام عيد الفطر إلى المقابر ليعرف أخوانه نعمة الحياة ، في اليوم التالي إلى المستشفيات ، تشمع كبد ، فشل كلوي ، خثرة بالدماغ ، احتشاء بالقلب ، سرطان بالأعضاء ، أنت معافى ، الحواس الخمس تعمل بانتظام ، منحك الله قوة تتحرك ، لا تشكو من شيء ، في اليوم التالي إلى المستشفيات من أجل أن تعرف قيمة الصحة ، هذه نعمة .

((عن عبد الله بن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه : اغتنب خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ،

وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .))

[أخرجه الحاكم]



الإنسان إذا مرض من مستشفى إلى مستشفى ، أهمل كل شيء ، الأدوية ، والعملية الجراحية ، وأين

نجرها ؟ في بلده ؟ في بلد آخر ؟ يبيع بيته من أجلها ، أنت بصحة تامة ، نعمة الصحة لا تعدلها نعمة ، ففي اليوم التالي يأخذهم إلى المستشفيات ، ليروا المرضى ومم يعانون ؟ وفي اليوم الثالث يأخذهم إلى السجون ، من أجل أن تعرف نعمة الحرية ، أنت حر ، لا يوجد مذكرة بحث بحقك ، الذي عليه مذكرة بحث لو طرق بابه لا تخلع قلبه ، أما أنت افتح الباب انظر من الطارق يا بابا ، مطمئن ، تنتقل ، تسافر ، لا يوجد عليك شيء ، نعمة الحياة ، و نعمة الصحة ، و نعمة الأمن ، قال تعالى :

﴿الْهَاجِمُ النَّكَاتُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)﴾

[سورة النكث]

نعمة الأمن ، نعمة الصحة ، نعمة الكفاية ، نعمة لك أولاد ، لك بيت ، لك ماوى ، لك زوجة ، هذه النعم ماذا فعلت بها ؟ استخدمتها في المعاصي والآثام أم استخدمتها في طاعة الرحمن ؟

الخوف يأتي من الشرك والأمن يأتي من الإيمان :

إذا الخوف يأتي من الشرك :

﴿سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ (151)﴾

[سورة آل عمران]

أي إنسان مشرك مهما كان قوياً ، ولو أنها أقوى دولة في العالم ، يوجد مع الشرك خوف ، و يوجد مع الإيمان أمن ، احفظ الآيتين : ﴿سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾
والآية الثانية :

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

[سورة الأنعام]

أيها الإخوة ، هناك تجربة ذكرها بعض العلماء ، جاؤوا بإنسان وضعوه على لوح خشبي ، وعلقوه من



وسط اللوح تماماً بحسب التوازن ، أي غلق هذا اللوح بجبل إلى السقف بحيث أن مكان التعليق هو المنتصف الدقيق جداً بحيث أنه يبقى أفقياً ، عندما جاءت سنة من النوم مال هذا اللوح ، هناك شيء جاء ، النوم يُخلق ، واليقظة تُخلق .
لذلك أيها الإخوة ، الله عز وجل جعل النوم من آياته الدالة على عظمته .

على الإنسان أن يحجم عن رواية القصص غير الواقعية :

أنا أقول لكم كلمة عن إنسان أعرفه ، لا ينام ، أنا لا أتردد دقيقة عن اليقين أنه لو عرض عليه أن يبيع بيته ، وأن يبقى بلا مأوى مقابل أن ينام ليلة واحدة لن يتردد أبداً ، أنت حينما تتجه إلى فراشك ، وتنام نوماً عميقاً ، هذه من نعم الله العظمى ، وكما تعلمون الإنسان مهما كان متعباً إذا نام أربع ساعات أو خمس يستريح ، يستيقظ نشيطاً كالحصان ، ففضية النوم من نعم الله الكبرى .



قصة عن سيدنا عمر أحجمت عن روايتها سنوات طويلة ، ثم رأيتها برواية أخرى فأصبحت أرويها ،

لما جاءه رسول عامه على أذربيجان ، وصل إلى المدينة ليلاً - في منتصف الليل - فكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذا الوقت المتأخر فتوجه إلى المسجد ، لم يكن هناك كهرباء ، سمع إنساناً يناجي ربه ويقول : ربي هل قبلت توبتي فأهني نفسي أم دددتها فأعزبها ؟ قال له : من أنت سبحان الله ؟ ! من أنت يا هذا ؟ قال له : أنا عمر ، قال له : أمير المؤمنين ؟ ! قال له : أمير المؤمنين ، قال له : ألا تنام الليل ؟ الرواية التي منعتني أن أروي هذه القصة كما يلي ؛ قال له : إني إن نمت ليلتي أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي - معنى هذا أنه لا ينام وهذا شيء يتناقض مع قوانين الجسم - .



الرواية الثانية: إني إن نمت ليلتي كله - كلمة كله صار في واقع - إني إن نمت ليلتي كله أضعت نفسي

أمام ربي ، وإني إن نمت نهاري أضعت رعيتي ، فالنوم لا بد منه .
لذلك هناك مئات القصص التي تروى أنا أعتقد لا أصل لها ، أن فلاناً الفلاني ، العالم الجليل صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً ، غير صحيحة ، هل تستطيع ألا تنام ليلتين فقط ؟ لا تستطيع ، هذا نظام ، النبي قال :

سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا وكانهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

متفق عليه

لا ترو قصة غير معقولة ، لا ترو قصة مستحيلة ، حينما تروي هذه القصص تجعل الدين شيئاً غير واقعي ، شيئاً مستحيلاً ، لذلك أنا أحجم عن رواية قصة غير مألوفة ، غير معقولة ، غير منطقية ، لا يقبلها العقل .

لذلك هذه القصص التي تروى ؛ قرأ القرآن في ليلة واحدة ، ستمئة صفحة ، إذا الصفحة يقرأها بركة ، يحتاج أن يصلي ستمئة ركعة ، ستمئة ركعة لا تكفي بليلة واحدة ، هناك أشياء معقولة ، وهناك أشياء غير معقولة ، فمن سنة النبي أن نصلي إحدى عشرة ركعة ، ثماني ركعات ، وثلاث ركعات وتر في الليل ، هذه السنة ، دعك مع سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، لا تبالغ ، لا تجعل الإسلام شيئاً خيالياً غير واقعي .

إعجاز الله عز وجل :

الشيء اللطيف أن الإنسان وهو نائم كل شيء معطل إلا الأذن ، من هنا قال الله تعالى :

﴿فَضَرْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11)﴾

[سورة الكهف]

لو أن آذانهم تعمل عملها الطبيعي لما ناموا هذه السنوات المديدة .

الدقة المذهلة في القرآن الكريم :

أيها الإخوة ، الآن في سورة الأنفال جاءت الآية: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ إشارة إلى أن كل أصحاب النبي الكريم أصابتهم هذه الغفلة في النوم ، ﴿النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ فاطمأنت قلوبهم .

هناك نوم مع القلق ، أي غير المؤمن لو نام معه قلق ، معه أحلام مزعجة جداً ، معه كابوس كما يقولون ، لكن في آل عمران قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَجِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)﴾

[سورة آل عمران]

معكوسة ، ما كل الذين ناموا كانوا مطمئنين ، في الأنفال كل الصحابة كانوا نائمين ، أما في مجال آخر كان هناك منافقون ، بعض الذين ناموا كانوا مطمئنين ، أي هناك دقة مذهلة بالقرآن الكريم ، مرة جاءت ﴿النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ ، ومرة ، ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ ، التبديل له معنى دقيق جداً ، مثلاً الله قال :

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)﴾

[سورة المائدة]

بدأ بالسارق ، أما بالزنا قال :

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا آفةٌ فِي دِينِكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَنزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا لِيُزَكِّيَ الْبَشَرَةَ لَسَاءَ أُمَّةٍ قَدِ افْتَرَتْ عَلَى اللَّهِ أَلْفَاظًا مَّكَرًا لِّئَلَّا يُفَاهِقُوا بِحَقِّ اللَّهِ فَكَذَّبُوا لِئَلَّا يُفَاهِقُوا بِحَقِّ اللَّهِ فَكَذَّبُوا (24)﴾

[سورة النور]

لأن المرأة أصل في الزنا بتكشف مفاتنها تغري الرجال بها ، هذا اسمه : التحرش ، الرجل يتحرش بالمرأة بكلمة أو بلمسة ، أما المرأة فتتحرش به بثيابها .

قيمة المرأة تظهر من حشمتها :

أنا لا أنسى قصة حدثتها من قبل أخ كريم ، قال : عرضوا بفضائية شاباً مجرماً اغتصب عدداً كبيراً جداً من الفتيات وقتلن ،

فهناك باحثة اجتماعية طلبت أن تلقني معه على فضائية من الفضائيات ، طبعاً سألتها عن اسمه ، قال



لها اسمه ، لا يفقه شيئاً ، لا يقرأ ولا يكتب ، أي جاهل جهلاً مطبقاً ، فقالت له : كيف تفعل هذا ؟ قال لها : من ثيابهن ، هذا الجاهل وضع يده على المشكلة ، من ثيابهن ، تقول له هذه الباحثة : لو أن امرأة محجبة هل تتحرش بها ؟ قال لها : الذي يتحرش بها أقلته .

كل قيمة المرأة تظهر من حشمتها ، وكأنها ملكة ، أنا لا أتصور إنسانة محجبة حجاباً شريعياً أن يتحرش أحد بها ، أكاد أقول : مستحيل ، ما ظهر منها شيء ، ما ظهر من مفاتنها شيء حتى تدعو إلى التحرش ، أما التي تعرض كل مفاتنها على الناس كأنها تدعوهم إليها .

من قاتل في سبيل الله يبتغي وجهه منحه الله الأمن والطمأنينة :

أيها الإخوة ، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أولاً : يبدو أن في

إحدى المعارك استطاع المشركون أن يأخذوا الماء إليهم ، فحرم الصحابة من الماء ، لذلك أكرمهم الله ، أي إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟ كن مع الله ، والماء بيد الله .

لذلك ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ إشارة دقيقة جداً ، وأنت في ساحة المعركة ، وأنت تقاتل ، يجب أن تكون نظيفاً ، ما قولك ؟ ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ إذا شخص أصابته جنابة من حلم قال : ﴿ وَيَذْهَبُ عَنْكُمْ رَجَزُ الشَّيْطَانِ ﴾ إشارة أولى إلى النظافة ، وإشارة ثانية إلى إنهاء الجنابة ، وكلاهما مطلق ، إنسان غير نظيف عنده قلق كمؤمن .

هناك أشياء لطيفة جداً أن الله عز وجل وصف لنا صلاة الجماعة في الحرب ، في الحرب ويوجد قتل ومع خط المواجهة الأول ينبغي أن تصلي جماعة ، ولهذا نظام خاص ، هناك آيات أخرى مشروحة ، فأنت مدعو أن تصلي جماعة وأنت في الحرب فكيف في السلم؟ وأنت مدعو أن تكون نظيفاً وأنت في ساحة المعركة .

﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ هذه النقطة الدقيقة أن الإنسان حينما يقاتل في سبيل الله قتالاً مشروعاً يبتغي من هذا القتال وجه الله عز وجل ، الله عز وجل يملأ قلبه طمأنينة .

من كان مع الله كان الله معه :

والله سمعنا قصصاً عن أختنا في غزة أثناء الحرب الأخيرة شيء يكاد لا يصدق من طمأنينتهم ، يواجهون أكبر جيش ، هم ضعاف لا يملكون من الأسلحة الحديثة إلا الشيء القليل جداً ، ومع ذلك ألقى الله في قلبهم الطمأنينة ، قصص كثيرة جداً قيلت . ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ ، المؤمن يتمتع بطمأنينة عالية جداً ، يلقي الله في قلبه الأمان :

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) ﴾

[سورة الأنعام]

إذا كان الله معك فمن عليك؟

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) ﴾

[سورة الحديد]

هذه معية عامة ، مع كل إنسان ، مع الكافر ، مع الملحد ، مع المشرك ، مع العاصي ، مع الفاجر ، مع أي



إنسان ، لكن :

﴿ إِنْ تَسْتَفْخِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهَرُوا فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19) ﴾

[سورة الأنفال]

إن الله مع الصادقين ، إن الله مع التوابين ، هذه معية خاصة ، قال علماء التفسير : المعية الخاصة تعني أن الله ينصرهم ، ويحفظهم ، ويوفقهم ، ويحميهم ، ويطمئنهم ، المعية الخاصة تعني النصر ، والتأييد ، والحفظ ، والتوفيق ، هذه المعية الخاصة ، وهي في متناول كل منكم ، كن مع الله تر الله معك ، كن معه مستقيماً تراه معك مثبتاً ، كن معه مستقيماً تراه معك موقفاً ، كن معه مستقيماً تراه معك ينصرك على أعدائك .

إذاً : ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجَزَ الشَّيْطَانِ ﴾ ، أي الماء للنظافة أولاً ، وللبعد عن الجنابة إذا كانت هناك جنابة .

الدعاء سلاح المؤمن وهو يقوي العقيدة :

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ ، بالمناسبة قالوا : الدعاء يقوي العقيدة ، لماذا هؤلاء الصحابة ربهم من أجل الماء ، والماء نزل ، قويت قلوبهم بربهم ، وقويت عقيدتهم ، وإيمانهم به ، الدعاء سلاح المؤمن وهو يقوي العقيدة ، أنت إذا دعوت الله دعاء صحيحاً :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) ﴾

ودعوته ، واستجاب لك ، يزداد إيمانك بالله ، بل يتجدد إيمانك بالله ، بل هذا الدعاء المستجاب يُعد يوماً من أيام الله ، قال تعالى :



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)﴾

[سورة إبراهيم]

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ دعوتكم ربكم أن ينزل عليكم المطر من السماء ، المطر نزل ، الآن لو فرضنا لا سمح الله ولا قدر وقعا في سنة جفاف كبيرة جداً ، والسماء لا تمطر ، مضى الشهر التاسع ، والعاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، والأول لم يكن هناك مطر ، لو فرضنا أجرينا صلاة استسقاء ، وعقب هذه الصلاة الأمطار نزلت كأفواه القرب ، بماذا يشعر كل المسلمين؟ بالثقة بالله عز وجل ، أن الله موجود وكل شيء بيده .

الإنسان يدعوه ربه حقيقة عندما يثق بوجوده وحببه وقدرته واستجابته :

بالمناسبة أنت حينما تدعو الله ، ويستجيب لك تزداد إيماناً به ، من هنا قال تعالى :

﴿قُلْ مَا يَغِيْبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)﴾

[سورة الفرقان]



أنت متى تدعو الله حقيقة؟ إذا أمنت أولاً بوجوده ، وأمنت ثانياً أنه يسمعك ، إن تكلمت فهو يسمعك ،

وإن تحركت فهو يراك ، وإن أضمرت شيئاً فهو يعلمه ، وثالثاً تؤمن أنه على كل شيء قدير .

والله أعرف صديقاً - القصة من أربع وعشرين سنة- أصيب بورم خبيث بالرئتين ، والذين عالجه أصدقائي ، أعطوه جواباً قطعياً لا يوجد أمل أبداً ، يوجد أمل وحيد أن يزرع رئة ، وأجرة هذه العملية ثمن بيته بالضبط ، ابنه صغير ، يبدو أن له دعاء مستجاباً ، الآن هو حي برزق ، ولم يحتج إلى هذه العملية ، وصار هناك تراجع ذاتي .

بالطبع هناك شيء اسمه: الشفاء الذاتي ، لأن هذا الموضوع مر بوط بالخرافات فهو مهمل ، أما هو فموجود ، يوجد شفاء ذاتي .

فالدعاء يقوي العقيدة ، أنت حينما تدعو الله أنت مؤمن بوجوده ، وأنه يعلم ما تقول ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه يحبك .

أربعة أشياء : عدوك قادر لكنه لا يحبك ، يحبك وقادر وسميع عليم وموجود ، لذلك قال تعالى :

﴿قُلْ مَا يَغِيْبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)﴾

[سورة الفرقان]

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ يعطيك المعنويات العالية ، واثق .

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾

[سورة آل عمران]

أخطر شيء أن نهزم من الداخل :



أخطر شيء الآن أن نهزم من الداخل ،

أي هناك انهيار داخلي ، انتهيينا ، لا يوجد بيدنا شيء ، الله

موجود ، والله عز وجل يظهر آياته من حين لآخر ، أنفلونزا الخنازير أليست من آيات الله ؟ رعب بالعالم كله ، وقبلها كان هناك أنفلونزا الطيور ، وقبلها حرب غزة ، أليس هذا دعماً إلهياً ؟ الله عز وجل يظهر آياته ، وقبلها انهيار النظام العالمي ، وراء بعضهم الحمد لله .

﴿وَلْيَرْبِطْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أنت مع منهج السماء ، أنت مع وحي السماء ، لكن المشكلة أن أمة المسلمين نائمة في ضوء الشمس ، أعداؤهم يعملون ليلاً نهاراً في الظلام ، إلا أن الذي يعمل في الظلام يسبق من هو نائم في ضوء الشمس .

﴿إِذْ يُوجِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ، قال عليه الصلاة والسلام :

((عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في

يدي .))

[فتح الباري في شرح صحيح البخاري]

وأنا تعليق من عندي : وأمتة هزمت بالرعب مسيرة عام ، عندما انتشر الشرك والضعف والمعاصي أصبح هناك هيمنة من الأعداء ، ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا الْعِقَابِ (13)﴾

الفتنة الطائفية أول ورقة رابحة يحملها العدو ضد الإسلام والمسلمين :



أخواننا الكرام ؛ الفكرة مهمة جداً ،

نحن أمة ، لو صار هناك من هذه الأمة من هو كافر بالله ، ومن هو

مؤمن به ، صار هناك مشكلة بين هذين الطرفين ، الطاقات والجهود بُدّت ، الآن نحن هل تصدقون بحربي أفغانستان والعراق الكلفة تقريباً ثلاثة آلاف مليار ؟! لو لم تكن هذه الحروب وأنفقت على مصالح البشر ، كم مستشفى ؟ كم طريق ؟ كم جامعة ؟ ثلاثة آلاف مليار ماذا تفعل في الأرض ؟ تحل معظم مشكلات البشر ، عندما صار انشقاق وحروب هذه الطاقات والثروات والأموال أنفقت لشيء لا يقدم ولا يؤخر .

فذلك الآية الكريمة : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي عملوا انشقاقاً بالأمة ، مؤمن وكافر ، الكافر والمؤمن صار هناك انشقاق ، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا الْعِقَابِ﴾ .

﴿ذَلِكَ قُدُورُهُ﴾ ، أي الله عز وجل جعل الذوق للطعام والشراب فقطيل للذل أيضاً .

﴿ذُنُوبِكُمْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (49)

[سورة الدخان]

فهذا الذي يشق صفوف الأمة يجعل بأسها بينها ، والذي يوحدنا يجعل بأسها على أعدائها ، فرق كبير جداً بين أن تشق صفوف الأمة فتجعل بأسها بينها ، وبين أن توحدنا

فتجعل بأسها على أعدائها .

فذلك أول ورقة رابحة يحملها العدو هي الفتنة الطائفية، ترونها تعمل عملها في بلاد أخرى، فنحن بوعينا إن شاء الله نسقط هذه الورقة الرابحة من أيدي الطغاة والأعداء .

والحمد لله رب العالمين